

الحلقة الخامسة

سلسلة انتشار المسيحية

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا قد بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن انتشار المسيحية بعد سفر أعمال الرسل، أي خلال العشرين قرناً الماضية.

وتبين لنا أن جميع الرسل الأوائل ساهموا في نشر المسيحية ببلدان عديدة، وقد استشهد معظمهم. وتعرض المسيحيون الأوائل إلى أفسى أنواع الاضطهاد. لكن المسيحية انتصرت، وصارت دين الدولة الرومانية الرسمي. وعقد مجمع نيقية الذي أقر قانون الإيمان في أوائل القرن الرابع. ثم أخذت المسيحية تنتشر في معظم أنحاء القارة الأوروبية، والعالم العربي، وكان هناك عرب مسيحيون. ووصلت المسيحية إلى الهند والصين ومنغوليا. وكانت روسيا آخر الدول الأوروبية التي اعتنقت المسيحية في القرن العاشر الميلادي. ونتيجة لانقسام الامبراطورية الرومانية، انقسمت الكنيسة في منتصف القرن الحادي عشر إلى طائفتين الكاثوليكية والارثوذكسية.

ونتيجة لاستفحال الفساد في الكنيسة الكاثوليكية قام الراهب مارتن لوثر بحركته الإصلاحية، حيث بدأت عندها الطائفة البروتستانتية أو الإنجيلية، ثم ظهرت الفرق البروتستانتية المتعددة. وكما ذكرنا في اللقاء الماضي فإنه كانت من آثار حركة الإصلاح الديني، أنه مهد الطريق أمام العمل التبشيري المسيحي مجدداً، إلى كل أنحاء العالم. وهو ما سيكون مدار بحثنا في هذا اللقاء.

كان من أولى نتائج الإصلاح الديني البروتستانتية، أن ظهرت في الكنيسة الكاثوليكية حركة إصلاحية، هدفها إصلاح الكنيسة من الداخل. وعرفت هذه الحركة باليسوعيين Jesuits نسبة إلى المخلص يسوع المسيح. وقد قام اليسوعيون بإرسال مبشرين إلى الهند وسيريلانكا، والصين، واليابان حيث آمن ثلاثة نبلاء. وذهبوا أيضاً إلى البرازيل والمكسيك وبيرو وأميركا الجنوبية. وشيدوا الكنائس الفخمة، وأسسوا المدارس الشهيرة. وفي إنكلترا ظهرت فرقة الطهورين البروتستانتية Puritans، ونتيجة للاضطهاد الديني لجأوا أولاً إلى هولندا، ثم هاجر الكثيرون منهم إلى أميركا الشمالية الولايات المتحدة حالياً، فأسسوا المستعمرات وأقاموا الكنائس.

وفي القرون الثلاثة الماضية بدأت البعثات التبشيرية تنطلق من ألمانيا وانكلترا وفرنسا وهولندا والدانمارك وأميركا الشمالية، تحمل بشارة الإنجيل المفرحة، إلى كل بقاع وبلاد العالم. وكانت قصص رائعة كتبها أولئك المرسلون، الذين سطروا بدمائهم وتضحياتهم، أبهر صفحات الجهاد. ففي سنة ألف وثمانئة واثنان وأربعون فتحت الصين موانئها للتجارة الأجنبية. فكان المرسلون من أوائل الوافدين.

وفي سنة ألف وثمانئة وتسعة وخمسين فتحت اليابان أبوابها الموصدة لدخول الأجانب. فذهب إليها المبشرون الذين وجدوا بعض اليابانيين يمارسون المسيحية سرا، بسبب القانون الذي كان يحرّم اعتناق المسيحية. وكان قد حُكم على الكثيرين منهم بالموت. على أنه بعد أربعة عشر عاما من دخول الأجانب صدر قانون التسامح الديني. وكان قد ذهب سابقا إلى اليابان كاهن أورثوذكسي، أخذ يبشر بالمسيحية وأسس كنيسة في طوكيو.

وفي بلاد الهند كان المبشرون من الدانمارك أول من ذهب إلى هناك، ثم المبشر الإنكليزي وليم كيري، الذي مهّد الطريق لنشر المسيحية في الهند. وكان قد ذهب برفقة زميل له اسمه جون توماس. وبدأ كيري مع زملائه بنشر الدعوة المسيحية، وترجمة الكتاب المقدس وافتتاح المطابع. وكان كيري لغويا، إذ سبق له أن تعلّم اللاتينية واليونانية والعبرانية، وصار أستاذا للغات الشرقية في كلية كلكتوتا. ومن مطبعته انتشرت الأسفار المقدسة إلى كل أنحاء الهند. وكان لاعتراضاته أثرها في إبطال عادة إحراق الأرامل الهنديات وهنّ أرامل، بعد وفاة أزواجهن. وأيضا عادة تقديم الذبائح من الأطفال.

وكان هناك عالم لغات آخر اسمه روبرت موريسون، تعلّم اللاتينية واليونانية، أحس بحاجة العالم إلى بشارة الإنجيل المفرحة. فقررت جمعية لندن للمرسلين أن ترسله إلى بلاد الصين التي تعتمد لغتها على الرسوم المختلفة. وقبل رحيله إلى الصين تعرّف روبرت موريسون إلى شخص صيني علّمه اللغة الصينية. وعندما وصل إلى الصين أخذ يتعلم المزيد من لغتها خفية، لأن قوانين البلاد كانت تحرّم تعليم اللغة الصينية للأوروبيين. ثم عمل مترجماً في إحدى الشركات التجارية. ولم تمض عشرة سنوات حتى كان فرغ من طبع قاموس إنكليزي صيني. وبعد اثنتي عشرة سنة أخرى انتهى من ترجمة الكتاب المقدس كله إلى اللغة الصينية. وكانت هذه الترجمة أساسا بنى عليه المبشرون الذين اقتنوا خطاه لاحقا. وأخذت الكنائس المسيحية تنتشر في كل أنحاء الصين. ويقدر عدد المسيحيين اليوم في الصين بأكثر من خمسين مليونا بالرغم من الاضطهاد الشديد.

وفي أوائل القرن التاسع عشر انطلق هنري مارتن إلى الهند، وبدأ بترجمة سفر أعمال الرسل إلى اللغة الهندية وبعض أمثال المسيح. وأخذ يدرس اللغات السنسكريتية والفارسية والعربية. وقبل نهاية السنة الثانية من دراسته كان قد أكمل ترجمة العهد الجديد من الكتاب المقدس إلى اللغة الهندية، وراح يشرف على ترجمته إلى اللغتين الفارسية والعربية. وفي أوائل عام ألف وثمانمئة وأحدى عشر، سافر هنري مارتن إلى إيران. وفي أوائل سنة ألف وثمانمئة و اثني عشر أكمل ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الفارسية، وبعد شهر آخر أكمل ترجمة سفر المزامير.

أما ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية فقد وُجدت عدة ترجمات جزئية له خلال القرون المتعاقبة. لكن الترجمة الكاملة والأولى له تمت بإشراف المُرسَلين سمث وفانديك وذلك عام ألف وثمانمئة وخمسة وستون.

وإلى إفريقيا ذهب المبشرون المسيحيون، لكن الرحالة والمبشر العظيم داود لفنجستون، هو الذي شقَّ الطريق أمام زملائه، الذين ساروا يقتفون خطواته، ينشرون الدعوة ويؤسسون الكنائس وينشئون المدارس. ولعل من أهمهم هو المبشر الكسندر مكاي، الذي كان مهندساً شاباً وقرر أن يبشر بالمسيحية في أوغندا بأواسط إفريقيا. وعلى الرغم من الصعاب الهائلة التي واجهته في الطريق بلغ أوغندا. ولم يلق في البداية مقاومة من ملكها، وترجم الإنجيل بحسب بشارة متى إلى لغة أهل البلاد. وعمد الكثيرين بعد أن آمنوا بالمسيحية. لكن ملكاً وثنياً جديداً قام وطرده من البلاد، فارتحل إلى منطقة أخرى حيث مات هناك. ونتيجة للاضطهاد استشهد الكثيرون من المسيحيين في أوغندا. وأخيراً آمنت أوغندا كلها بالمسيحية ملكاً وشعباً، وغدت لفترة طويلة المنارة التي تضيء برسالة الإنجيل إلى قلب القارة الإفريقية.

ونتيجة للحملات التبشيرية فقد آمنت بالمسيحية أيضاً جماعات كبيرة من الشعوب ذات الثقافة البدائية مثل سكان جزر المحيط الهادي وجزر الهند الشرقية نيوغيني، والقبائل الإفريقية، وقبائل الهنود الحمر في أميركا الجنوبية. كما آمن بالمسيحية عدد كبير من الأفراد في إفريقيا والصين وكوريا والهند واليابان والفلبين، وتأسست في كل هذه البلاد كنائس وطنية مستقلة، قامت بدورها في التبشير، وإنشاء المدارس والكليات والمستشفيات.

وهكذا نجد أن المسيحية خلال العشرين قرناً الماضية انتشرت في كل أنحاء العالم وبقاعه، وبالرغم من الاضطهادات الشديدة. ومازالت المسيحية كل يوم تنتشر وتمتد وتؤسس الكنائس في بلدان كثيرة.

نكون بهذا قد انتهينا صديقي المستمع من الحديث باختصار شديد عن انتشار المسيحية في العالم. وذلك بعد الوقائع التي دونتها لنا سفر أعمال الرسل، عن تأسيس الكنيسة المسيحية الأولى وانتشارها.